نصوص للحب.. مساحة للحياة

جمانة طه

رغبات

بعد الموت..

لا أريد نعيًا ولا رثاء..

ولا دموعًا ولا آهات..

فأذناي..

لن تسمع كلماتكم

وعيناي..

لن ترى في عيونكم

الدموع.

كل ما أريده منكم

أن تقرؤوا كتبي

وتكتبوا عنها

فلعل فيها ما يغفر لي

......

شجيرة آس

اليوم..

تهب الريح يا حبيبي

ويتناثر المطر

حبات

رقيقة لطيفة

فوق قبر

أنت تتوسده

الزمن يمر..

وما زلت معي

أحضنك

يدك تداعب شعري

وجهك..

يضحك من بياض فودي

ويقول: "شعرك بدو صباغ يا أمي"

أقبل وجنتيك

فتعطر وجهي

أنفاسك الدافئة

هنالك..

في تلك الفسحة النابتة بالقبور

نهضتْ فوق ترابك

شجيرة آس

تسعد النظر

وتبكي القلوب

رحيلك يا بني..

استلب البهجة من أيامي

من عيني الفرح

والطمأنينة من رقادي

لكن عزائي

أن اجتماعنا لم يعد بعيدًا

....

لا عزاء في الحياة

عندما..

جئتما إلى هذه الدنيا

كنت شابة نضرة الوجنتين

صحتي جيدة وهمتي عالية

هيفاء القامة

عيناي صقر

وشعري البني اللون

ينسدل بعضه على جبيني

بغنج ودلال..

سهرت الليالي على راحتكم

بسعادة

وغسلت فضلاتكم

بمحبة

.....

زارتني الشيخوخة

وهنت صحتي

فترت همتي

وصار..

الشعر أبيض

والجبين أجرد

وأضحى..

البصر أعشى

.....

واليوم..

لا أجد عينًا تبصر طريقي

ولا يدًا تسند قامتي

ولا حنانًا..

يمسح على جبيني الأجرد

....

أرابيسك وطني

بوح رقم ونصوص أخرى

1

بوح رقم

منذ لحظات..

أجل منذ لحظات

وليس من أيام،

أو شهور أو سنوات..

فمنذ لحظات

كنت أملك الحياة

وكان لي اسم

قبل أن أتحول إلى رقم

إلى مجرد رقم،

بلا اسم.. وبلا عنوان

في زحمة الموت
نسي العالم أسماءنا
وراح يحصينا أكوامًا
ويحولنا إلى أرقام
الأجساد سوداء،
الأرض حمراء،
ونجوم السماء تلونت بدمائنا
حزين أنا.. حزين

ضاع اسمي في صوت رصاصة،
وغرقتْ أحلامي في طوفان الخلافات
مللت مواقف العجزة
كرهت كلمات الإنشاء
وقعقعة الأصوات
أيها المتفرجون المتخاذلون
خسئت أعينكم الزجاجية
وقلوبكم الخشبية
وألسنتكم الورقية
"لو كنت ريحًا لاختنقتم

حين لا تهب
لو كنت نوحًا فوق لجة الطوفان،
لطردتكم من السفينة
لو كنت نيرون
لطهرت قلوبكم
على ألسنة اللهب."

رعود الشعب تعزيني

أصواتها تطربني

وهي تدق أبواب الكون

وتخلع أقفال الأرواح

كيف أثق بفجر عربي

والجوع قاس

والدفء مفقود؟

لا تلوموا شكوكي

ولا تضجوا من شكواي

إنه خوفي على من بقي حيًا في وطني

يا لتفاهة الحياة!

كنت أُسعف الآخرين

فسقطت

ولم يسعفني أحد

هل من العدل أن أُقتل

لأني طالبت بالحرية والعدالة؟

وأنا لم أَقتل

ولم تلوث أنفاسي

صفاء السماء

جعلوا مني رقمًا

ونسوا أنّ هذا الرقم

هو المقاوم والفلاح والخباز

العامل والطبيب والمسعف

المصور الميداني والصحفي

وهو المرأة والشاب والشيخ

وهو "الأطفال الأزهار

الذين تتسع أعينهم دهشة
حين القصف
حين القطف
لحظة إعدامهم في الخميلة".

منذ فجري الأول
وأنا أكافح حياة لم أخترها
ولدتُ يتيمًا من والد "رقم"

فقدناه في حرب تشرين
ومن أمّ تجر وراءها فقرًا
وثمانية أطفال
روت لي أمي:

عندما استُشهد أبي
نظرت جدتي إلى عينيه
وقالت له: لن أودعك يا أحمد

ثم غطت وجهه، واستدارت
يا لكبرياء جدتي السورية!

أشعر بهواء يرفّ فوقي
أتراه جناح عصفور
أم جناح نسر؟
ليته يكون نسرًا
فأنا لا أحب أن ينهش لحمي
عصفورٌ صغير
ولا قطٌ ولا كلب
صوتُ القصف
يقضي على ما تبقى في أذني من حياة

رائحة الدماء تميتني مرة أخرى

وعويلُ الأطفال والأمهات

يسلبُ بقايا النبض في قلبي

ليتني أعرف..

ماذا حلّ بأسرتي

وهل تناولتها شجرة النار؟

برودةٌ تخترقني

تُجمِّدُ الدم في عروقي

بعضُ أيد تنتشلني

تضعني في شرشف

تلف حولي حبلًا

وتضعني في شاحنة

ارتطامي بأرقام آخرين

يؤنسني

يمحو غربتي

ويسقطني

في حفرة يحتفي فيها الليل

يزحف الجفافُ إلى يدي

يراوغ في أصابعي القلم

أقاوم

يزوغ منها

أقاوم

فلا جدوى

يهتز القلم

يسقط من يدي

يقع على كفن أبيض

ويرسم رقمًا

فوق الآلاف بكثير...

*ما بين الأقواس للشاعر أمل دنقل

2

أرواح..

حررت الوطن

أجسادهم

للاحتفال

سجادة حمراء

3

لحافٌ من وجعٍ

لَفَّ جسدي

طفل..

وقذيفة

4

قنبلة هاجعة

قدم طفل

فجرتها نارًا

5

في مدينة العصور

رصاص

اغتال الضوء

انسكب فوق الأجساد

خردق البنيان

وتركها جثة

عافتها الحياة

لا أحد يفكر بالوطن

بالأطفال

بالمسنين

دول وقواعد عسكرية

جيوش ومعدات

وقتلى

في الحواري والطرقات

توقفوا..

عن القتل والقتال

لَقِّموا المدفعَ وردةً

أعيدوا الفرح

إلى الأرض

بالشجر وفسائل الزهور

7

يطالبونني..

بأن أحب الوطن

وأن أحبيه كل صباح

وأنا..

لا أعرف منه غير الدرب
الذي أمشي فيه
من بيتنا
إلى المدرسة.

قصفٌ ظالم
قتل أبي
وأنا..

عشت الموت تحت الأنقاض.

حملتني أمي
إلى الشتات
ضعنا..

بين زقاق وزقاق
ملجأ وملجأ
غاب عنّا الأمان
ونور الشمس
بعد ثماني سنوات هو عمري الآن
نعيش في مدينة
لا أهل لنا فيها
ولا جيران
أدرس في مدرسة
لا رفاق لي فيها
ولا خلّان
إلّا أنهم..

لا يتوقفون عن مطالبتي

بتقديم التحية

كل صباح

لوطن.. لا أعرفه

ولا أعرف أين أقع عليه

فهو لي مثل نيزك

ما إن يشتعل

حتى يأفل!

8

نحيا في وطن

غائب..

فلا هو يشعر بوجودنا

ولا نحن..

نعمل على استعادته

9

نحيا اليوم

في جحور عمياء

قلوبنا واجفة

عيوننا شائهة

وأفواهنا اغتالها النفاق

10

نحيا؟!

وهل ما نحن فيه، حياة؟

نداور شعاع الأمل

فلا هو يستجيب

ولا أيدينا..

تمكنت من القبض عليه

11

صار الألم

لنا ظلًا

في حلوقنا البكماء

في عيوننا الخاوية

وفي كلماتنا المبتورة!

وطن..

مترع بالبكاء

ينام في الموت

نهاره صخب

وليله..

قمر أسود

زمنه..

حروب مؤجلة

وضفافه صاهلة

بالحديد والنار

تقاسموا أرضه

أرزاقه

ونسوا..

أن كل سوري

هو سورية

12

اللاجئون..

راحلون من قلبِ الجحيمِ

يَعتلُونَ على مناكبِهِم

أطفالَهم

بُسطَهم

وبُقجَ ثيابِهم

يَسحبونَ وراءَهم دُخانَ

بيوتِهم المحترقة

وهديرَ الطائرات

نزيفُهم لا يتوقف

بكاءُ صغارِهم

لا يتوقف

واصطفافُهم أمامَ موائدِ اللئامِ

لا يتوقف

13

في كل ارتحال

يدهشني الجمال

في الأمكنة

في نظام المرور

والإنارة

في شوارعها

ومع ذلك..

أقول في نفسي

لا بدَّ من الوطن

وإن غمرته الفوضى

وتكاثرت عليه الفضلات

لا بدّ من الوطن

وإن أتعبني

زعيق الباعة

وتشاجر الأصوات

لا بد من الوطن

برغم الوجوه الكابية

في المؤسسات الرسمية

وتزاحم شطائر الطعام

وصحون الفول والحمص

وكؤوس الشاي والمتة

على سطوح المكاتب

لا بد من الوطن

مع اتساخ الأزقة

وتلوث حيطانها

بفضلات الأفواه والأنوف

وبغير ذلك

لا بد من الوطن

بعد سفر

طال أم قصر

ألأني أدمنت رؤية

ما أتذمر منه

أم..

لأن محبتي لوطني

توارب

ندوبي الروحية

وتمنحني للحياة فيه

فرصًا أخرى؟!

13

عندما تغيب الكهرباء

نهارا

أسدل على النوافذ

الساتر الخشبي

وأتظاهر

باستقبال الليل

14

إن جئتَ تبحث عني

فلن تجدني

عند القمر

ولا في وشوشات السحر

بل..

عند ضفاف وطن،

يتوارى

تحت مظلة الفساد

15

في حضرة الشهيد

ينبت للوطن

أجنحة

تطير به

إلى أفق الخلود

16

أرثي طيبتك يا وطني!

روم خلفك

روم قدامك

وأنت حائر..

بين خلف وقدام

لا تعرف

على أي جانبيك تميل

ليتهم يعلمون

أنهم وهمٌ

وأنَّ كلَّ وهم

إلى زوال

من آمن بك

يا وطني

وإن مات

فسيحيا

17

الحلم

جمرة

في زناد الأحرار

18

مخطوفون من الزمن

فوق لُجَّة من رماد

أرواحهم قلقة

عيونهم واجفة

ودموعهم ترسم شكل

المُخَلِّص المنتظر

كلماتهم

ليست حجارة تطرق الأبواب

وتقرقع في ممرات القصور

كلماتهم ..

أسافين..

تدك منظومة اللصوص

وتدق باب الحرية

18

ما دخل الجند

مدينة..

إلّا أفسدوا أهلها

وحطموا حجرها

19

الفضاء مخذول

الظلال شائهة

والصوت مغلول

يعيشون

ولا يحيون

ينظرون

ولا يرون

عيونهم زجاج

سكنتها العتمة

وغاب عنها الضياء

20

تهالكت الذاكرة

على رصيف منسي

تشظت إنسانا

وقطعة من وطن

21

أتوسلك يا رب

اجعلني..

دمية في يد طفلة

وشاحًا لجسدٍ مبرود

قبلة..

على جبين يتيم

خيمة لتائه

طيرًا زاجلًا..

مع رسالة لأم محارب

عصا..

لجندي فقد ساقه

حبة دواء لمريض

جرعة حليب

لطفلٍ وليد

رغيفًا لجائع

حلمًا لبائس

وأملًا ليائس

....

اجعلني يا رب

هراوة..

على رأس فاسد

مقصلة..

على رقبة خائن

وجمرة..

في كف محتكر

22

أشجار..

تمردت خلف السياج

مادت الرواسي

وتحول الترابُ صوانًا

في يد الأحرار

23

قالت له:

دع الأحلام

وفكّر في رغيف خبز

فإن قرصك الجوع

لا حُلُمَ ينفع

24

شباب..

مثل قامات النخيل

تخطفهم

رصاصة من بندقية

العشيرة تتفرج

تستنكر حينًا

وتزغرد

في معظم الأحيان

25

اغفر لي حزني

ظننتُ

أنّ لي وطنًا

يجمعني بكَ

لكن..

عندما تأملتُ

ما يجري فيه

صار البكاءُ

آخر ما تبقى لي

26

أَنْسلُّ من وحدتي

إلى الخارج

مشي على غير هدى

دكنة الطريق

توحي كأنه قفر

وصلت إلى شارع

مولدات الإضاءة

ضجيجها

يرعش الليل

والناس أكوام في المقاهي

يتزاحمون على المقاعد

على فنجان قهوة

وأركيلة

وجوه صغيرة

تتدلى على أكتاف نعسة

تتسول الانتباه والمال

والخوف يحاصر اليد الممدودة

من صوت ناهر

ووجه شحيح

....

أعود إلى البيت

مع قليل من الوجع

27

وكثير من الغضب

عند أحد الحواجز

على دمعة في عين

إنتصبت لوحة

لم يحظ كفها بعطاء

كُتب عليها

قف للتفتيش

وقف عليها عصفور،

وبكى!

28

صواريخ..

تشق جوف الليل

الأرضُ

تنتحب

29

في وطني أطفال

يلعبون

الاستغماية

وكرة القدم

يختبرون شطارتهم برمي الدحل الملون

يكركرون بالضحك

ويضجون بالصراخ

تفرح بهم الحياة

ويفرجون بها

كان..

في وطني أطفال

يلعبون الكرة في الشارع

ويرمون الدحل الملونة

قبل أن ترفعهم

القذائف إلى السماء

30

يا اليمامة

لمَ توقفت عن النواح؟

أأفزعك

صوت القصف

أم شجاك

اسوداد الغمام؟

ألا يؤلمك

يتم الأطفال

ألا يقلقك

اعتقال الشباب

ألا يبكيك

31

حزن الأيامى

غربتي كفن

أم أنك أدمنت الهديل

يغلف قلبي

ونسيت النواح؟

يخنق..

ضجيج حبي لوطني

وجوه..

تحاصرني

تسور ذاكرتي

بعضها فارقني راغبًا

وبعضها

اندثر

تحت الركام

32

طار قلبي إلى وطني

المطارات مغلقة

ولا مكان للهبوط

تضاريس تغيرت

معالم تبددت

وناس لم يبق منهم غير الرماد

أيا وطني التعب

متى ستعبر دروب الجلجلة؟

33

ذهب بي خيالي

إلى الشام القديمة

بيوتها

حواريها

وتعرجاتها

إلى ساحة الجامع الأموي

وحمائمه الآمنة

إلى حكواتي مقهى النوفرة

وكاسات الشاي

على الطاولات الحديد

إلى همسٍ عاشقٍ..

حروفه

آهاتُ حزنٍ

ومرارةُ فقد.
يركض قلبي

إلى ساحة المرجة
المزينة بحركة الناس

ونصب الحرية

إلى سوق الشيخ سعد

وحلة الذرة المسلوقة

وبسطات الفستق الحلبي

إلى منطقة المالكي

وعربات الصبارة

وكراسي القش

وأصص الشمشير والسجاد.

ألهث بحزني..

على وطن

تتهاوى فيه

دماء..

لشعب لا يموت

أهلي يموتون

ذبحًا

قنصًا

جّلدًا

وأنا أبحث

عن فرح في موسيقا

عن صوت في أغنية

عن كلمة في نص

عن مفردة في قصيدة

عن همسة في شعر

عن باب بلا قفل

عن عصفور يغازله شباك

عن حبّ في قلوب مدمرة

عن شعب في الشتات

عن وحدة في الرأي والرؤية

عن خريطة مساحتها 185,180 ألف كم،

عن .... وعن...

بحثي يتعبني

والمستحيل يقول لي

أريحي نفسك

ما تبحثين عنه

طِلّسم
لا تملكين شيفرته

35

في اغترابي

تفتقد ذكرياتي السورية

نفسها

كما الأرض الجافة

تفتقد المطر

36

تبارك اسمك يا وطن!

تاجك شوك

صليبك نار

خمرك دم

قرابينك أرواح

وأمنك

لم يزل

قبضَ ريح

37

وطني..

كنزي الأغلى

وضعته في حقيبة

جبت بها العالم

وما زالت مغلقة

38

الأمكنة تعوي

أطلالًا

ما زارها بوم

ولا حطّ فيها غراب

الأرض نيران

والبشر أشلاء

عيون تنتحب

ولا سقف

يحنو على رؤوس المشردين

39

أرواحهم على كفوفهم

وذواكرهم معلقة

على فوهات صواريخ

يُجَرُّون إلى الموت

بأقدام مبتورة

40

الحاكمون..

غثاء أحوى

والعالم..

زئبق

41

لو كنتُ الخضر

لحطمت أسلحة

المعتدين

لو كنتُ الحسين

لخاصمت

من يقاتل السوريين

لكني..

لا هذا ولا ذاك،

فأنا مجرد امرأة سورية

أحبُّ وطني

وأحلم به متحررًا

من طغيان الدخيل

ف"إلى الحِراب نستطيع أن نستند،

ولكننا لا نستطيع أن نتربع عليها"

42

يوضاس
خان المسيح
سلَّمهُ
لأسافين الصَلب
وأشواك الألم
عندما انتفض المسيح على الموت
غفر كل الأذيات
ولم يغفر ليوضاس

43

أرقب انتصارات الأحرار
أفرح لامتداد الأرض
تحت أقدامهم
وأنتظر نصرًا
تأخر وصوله
فأنطوي على يقين
بأن الانتظار–الحلم
سيلد معجزة

44

ذكرياتي عن وطني
تراكمت جثثًا
بلا رؤوس
وبلا أقدام
معروضة في مزاد
الفضائيات
لكل من يشتري

ولكل من يزيد

45

صُراخُ الموتِ

يُثيرُ حَفيظةَ الصمتِ

يَنْفضُ جَناحيهِ

ويمتطي غيمةَ الرجاءِ

لموتى لم يموتوا

بعد!

46

جديدة الفضل

حبة مرجان جديدة

في عقد مجازر الإرهاب

مروا على البيوت

بالبنادق والمديات

كسروا الأبواب

واستباحوا الحرمات

لم توقفهم إنسانية

ولا إيمان

قطفوا النفوس من أجسادها

فغابت الأصوات

في حناجر تقلص

فيها الصراخ

وغامت النظرات

في أعين لم يتسن

لها البكاء

وكل ما تركوه خلفهم
غبشَ أرواحٍ
على الزجاج

تنهدات الأطفال
في جديدة الفضل
سوريّةٍ
وقلوبهم الغضة
جولان

47

أشتاق سحبًا تُجاور بيتي
ترقبني وأرقبها
ترسم لوحاتها
مرة.. بيضاء
أخرى.. رمادية
مرة باسمة
وداكنة مرات
....
وأنا أرسم كلمات
تنوء
بأمنيات لا تُنال!

48

تشتاق روحي
ثلجًا

هجر الشام طويلًا
فمتى أتوقف عن الشوق
إلى ندائفه؟
ومتى أتوقف
عن عشقي للشام؟

تشتاق نفسي
ريحًا
تضرب بردابة الشرفة
تقلقل سكينة حاملها الحديدي
تجلده بقسوة
بوجع

تشتاق روحي يمامة
تقف على السياج الحديدي
تنادي إلفها
يبنيان عشهما
فوق تراب
في جرة فخارية

يشتاق سمعي
صفير هواء
يتسلل
من شقوق الأبواب والشبابيك

تشتاق عيناي
أزهار شجرة ياسمين
نابتة
في حديقة الجيران
الجمال يغازل بصري
والعبير
يؤنس روحي

تشتاق يداي
مسح الغبار
عن لوحات صنعتُها
من ورد وأزهار
وألوان

تشتاق يداي
ملامسة رسم أبي وأمي
النائم قرب سريري
وأشتاق دفء بيت
كدسته
بصبر وأناة

أشتاق الشتاء في بيتي
شمسه فاترة
برودة تقزقز مفاصلي
وطيات الثياب

تثقل جسدي

49

أواه!

لشارع الفارابي

لأشجارٍ

تسور ضفتيه

لحركة الناس

وأنسهم المشاغب!

شتاء جاء

شتاء رحل

وشتاء سيأتي

وآخر سيرحل

وأنا بانتظار أمان

طال غيابه

50

في جبل الزاوية

مطرٌ

وحلٌ

وقلقْ

بيوت

ترتجف قهرًا

أمهات يذبلن صبرًا

آباء يحولون الحطب جمرًا

وأقدام غضة

يجرِّحُها الطين

51

هم..

يضعون سورية

في قلب العَتَمَه

وأهلها..

يفتحون نوافذها للفجر

52

كما لو أنَّ النصر

لن ينشر يُمْنَهُ على وطني

كما لو أنَّ موتي

يستلقي بقربي.!

53

هل لهؤلاء القتلة

قلوب

يعيشون بها؟

هل لديهم مرايا

ينظرون فيها؟

هل يغسلون أيديهم

قبل أن يأكلوا؟

هل يعقمونها

قبل أن يعانقوا أطفالهم

هل يمسحون عن شفاههم

آثار الدماء

قبل أن يقبلوهم
ويحكوا لهم
حكاية الجميلة والوحش؟
أيها القتلة!

هل أخفيتم عن نسائكم
أعداد الذين اغتلتم حياتهم
أم رويتم لهنَّ
عن المسرة التي شعرتم بها
حين امتصصتم الأرواح
ورقصتم فوق الجثث!

افرحوا بأفعالكم
استمتعوا ببطشكم
تلذذوا بتوحشكم
فأنتم لا تملكون قلوبًا تفقهون بها
ولا أعينًا تُبصرون بها
ولا آذانًا تسمعون بها
فأنتم أنعام
بل أشدّ منهم ضلالة!

54

لو أتت شهرزاد..

إلى سوريةَ
وعايشت أحوالها
وجالت في مناطقها
ومشت في حواريها
لما اكتفت بألف ليلة

وألف حكايةّ!

55

وطني تنهشه الذئاب
والعالم..

يراقب
زمن السقوط
56

الحرية نور
وطلابها..

المصابيح
57

أيها الشعب العظيم..

"أتى أمر الله فلا تستعجلوه"

"فليل العاشقين طويل".

58

لو جاء بيكاسو
إلى سورية..

ورأى مدنها المنكوبة
لكسر ريشته
ومزق ال(غارنيكا)!

59

تصالح السوريون

مع الموت..

وكأنهم موتى

على الدروب تسير

60

تركوك..

في عين العاصفة

في مهب الريح

مأوى للهوام

وأرضًا

بلا حصانة

ولا سياج

يا وطني الفينيق

قم من رمادك

انفض جناحيك

انتصب

قويًا

نقيًا

ودع رمادك

يعمي أبصارهم

يرمّد قلوبهم

ويقضي

على أحلامهم الجهنمية

61

يُفيقون..

عيونُهم تُراوغُ وَسَنَهَا

والليلُ على عتبات الزوال

يرتدون أثوابَ الرحيل

يشدُّونَ أسلحتَهم

يُخفونَ ذكرياتِهم في جيوبهم

وينطلقونَ إلى أمكنةٍ

يقيمون فيها وطنًا

يُسيِّجُونَهَ بقلوبهم

يُعمِّرونَهُ بأجسادهم

يُطهِّرونَ سماءَهُ

وتُرابَهُ من الغزاة

وينشدون

نحن حماة الديار

62

السوريون

ليسوا مجرد شعب

إنهم أمّة..

في أمّة.

إنهم

مثل العشب

كلما جَزّوه

ينبت من جديد

63

غادرتكَ

ولم تغادرني

عمري فيك

شجني فيك

فرحي فيك

ذاكرتي فيك

يا لجمال العمر

يا وطني

معك وفيك

64

كمشةُ أحلام

وضعتها في جيبي

وطرتُ

إلى حيثُ أنا

كمشةُ أحلام

حملتكِ فيها يا شام

فتزايد شوقي

وغربتي لم تخف

وطني

أرضه خراب

ترابه دماء

رجاله أشلاء

أكباده بين أنصال وحراب

وفردوسه جحيم

وطني ملعب لذئاب

يتبخترون على ترابه

أحذيتهم ثقال

أنيابهم حديد

وقلوبهم سمٌّ ناقع

65

حقد عشَّى عينيّ قابيل

وتشفٍ أعمى بصيرته

فصار الغضب في وجهه

فراق

وفي يده موت

66

ليس حلمًا..

أن الوطن يغرق

في ضجيج الحقد

في فجور الدواعش

وفي عربدة الطائرات

الصفراء والحمراء

ليس حلمًا

طائرات في السماء

وحمولتها..

موت

ليس حلمًا

أن تَبعث المدافعُ

رسائلَ التهجير

وهي لا تعرف الكتابة

ليس حلمًا

أنّ القنابل طوفان

مع أنها تجهل

لغة الماء

ليس حلمًا

أن تكون بندقية الجندي

واحة في أرض الجمر

وصوتها

احتفاء بالمستقبل

ليس حلمًا

الوطن أطلال

وبين مدينة ومدينة

وقرية وقرية

تتكوم الأبدان جثثًا

حتى يحسب من يراها

أن سورية

سقطت

من قائمة الحياة

67

تمرد يا وطني

تمرد..

اخلع نفسك

من لعبة الموت

انهض..

واجمع أجزاءك

من برك الدم

ومن أنياب الأغراب

68

كلما أنهيتُ نصًا

أقول لنفسي: قرَّبتْ!

أُغلق الدفتر

وأحلم..

المهاجر عاد

الحقل أزهر

الشجر أثمر

والحجر

علا في بنيان

.....

أفيق..

أسمع..

وأرى..

فأجهش بالبكاء

69

أَطبقَ أصابعه على وردة

رصاص

ناثر بتلاتها

وخطف

خفقات حبه

70

في مركب يتلاعب به البحر

ينسج لنفسه

كفنًا

من شمس وملح

وبقايا وطن

71

أطفال

يسابقون الجوع إلى الموت

بأقدامٍ

فقدت نعالها

72

من يستطيع

أن يضع الشمس

في زنزانة؟

من يستطيع

أن يختصر الوطن

بمدينة...

أو عاصمة؟

73

أنا الطفل السوري

تعودتُ أن أكمم فمي

أن أرفو جرحي

وأن أجتاز أوجاعي

موهنًا

تحالفتُ مع عوزي

أَلِفتُ

رؤية الولائم في الصور

والنوم طاويًا

ألفتُ

المشي حافيًا

ومشاهدة السيارات في المرائب

وعلى الطرقات

فكم على قلبي أن يحتمل

من الذلة

والقهر والألم

قبل أن يغادرني؟

74

شعب على قيد الجوع

وفي خياله

حقل قمح

75

ماذا تبقى؟

قلوب ميتة

وأجساد على فوهات المدافع

ماذا تبقى؟

هوية لاجئ

وموت في زورق

ماذا تبقى؟

وجوه مزيفة

وهتافات كاذبة

ماذا تبقى؟

أرض يباب

حرية حمراء

أجفان وسنى

وثكالى يترقبن المستحيل

ماذا تبقى؟

جواز سفر

لم يجدْ دربًا تأتي

ماذا تبقى؟

وطن غائب عن الحياة

وحاضر في الأخبار

****

حب

1

أختبىء خلف صمتي

لأراكَ بأذنيَّ

2

قلبي

عتّقه الشوق

ولم يهرم

3

ماء السماء

ينتهب الأرصفة

وأنا أقف تحتها

عارية..

إلّا من أحزاني

4

أحلم بيد

تركض بي

في مرج بلا حدود

5

لدي من الصداقات

ما يُعجز أصابعي من التعداد

وروحي..

تئن من الوحدة

6

الوقتُ كله لكِ

ثلاث كلمات

تلقفتها روحٌ

في غفلة

من صقيع يكسوها

من عتمة

هجرها الضوء

الوقت كله لكِ

ثلاث كلمات

خذلها الصدق

وحالفها النفاق

7

لو أُعْطيَ لي حقُ التمني

لما هجرتْ

الغيومُ سماءها

لو كنتُ نجمة صبح

لما تركتُ

دربكَ

مُعتمًا

لو كنتُ مزمارًا

لأسكنت أذنيك

الفرح

لو تغمرني عيناك

لصار الكونُ

بساطَ دهشة

لو كنتَ معي

لتحوَّل نحيبي

غناءً

لو أستطيع

أن أحرق سفنك

لأبقيتكَ بجانبي

لو أنكَ هنا
لكان الربيع
ثالثنا

لو أني احتميت
بصدرك
لما ذوبتني
برودة الرحيل

لو أعطي لي حق الكلام
لقلتُ
كم أحبكَ!

8

لو أنّ نجوم الكون أتت
لما شَعَّتْ في قلبي البهجة
يا أنتَ..

ولستَ معي
ما أبعد ما أنتَ هناك!

الرغبة تحملني بين ذراعيها
تُرعشني
عشرات الأنهار

انسكبت في روحي

اندفقت

حَرّى

نشوى

إفريقية

يا أنتَ .. ولست معي

آهِ

ما أبعد درب الشوق

ما أبعد

ما أنتَ هناك!

9

الريحُ تطوف بعبِّ الليل

تحتضن الشجر

تعانقه

تتلمس أوراق الأغصان

كأنامل مرت فوق المِعْزف

القمر تهادى نشوان

عباءته ماست أرجوحة

وكوى لمعت فوق البحر

والموج ضفائر مجدولة

على كتف الشط

وصخور فيه رمادية

ترتاح على خصر الرمل

وحصى غاف

ينثال على خد اليرقات

المائية

وأنا مصفدة

مغلولة بوعود

حرمتني

همسًا يحملكَ فيه

10

لا يخطئ ليل درب البحر

لا يخطئ ليلٌ قلبي

ومحارةُ روحي تغلي

لائبة في حال مخاض

سأظل وحيدة

سأظل حزينة

ما دمتَ بعيدًا

يا أنتَ..

ما أبعد ذاك الدرب

ما أبعد ما أنت هناك!

11

تحرش شوق بقلبي

أدرت قرص الهاتف

فأتاني صوته

متكسرًا

مثل زجاج

يابسًا

مثل غصن جاف

ما أقدره على جسر المسافات

وما أقدره على ردمها

لو علم أنّ اقترابَه نسمةٌ

وابتعادَه هجير

لَمَا ناثر حروفًا هو صاغها

"الوقتُ كله لكِ"

ولَمَا قطع الوصل

بمدية مثلومة

تنزف صمتًا

كلما حاولتْ أصابعي

أن تعيد دورة الأرقام

12

طاقةُ الحب في صوتي

لم تشفع لي

باحتلال أذن بشار بن برد

13

هل يكفي هاتف

ليصنع حبًا؟

هل تكفي موجة

لتصنع بحرًا؟

هل يكفي جدول

ليصنع نهرًا؟

هل تكفي زهرة

لتصنع ربيعًا؟

هل يكفي العاج

ليصنع فيلًا؟

لو كان الأمر هكذا

لما كان الحب

نادرًا

والبحر شطآن

والنهر قيثارة

وولادة الفيل

مشقة

14

هتف لي، وقال:

لكِ عندي وعد

أيّ وعد

وعدٌ برحلة

إلى منطقة جبلية أعرفها

جهزي نفسك

حصنيها ضد البرد

وهناك

سترافقنا طبيعة داهشة

لا يُشرق فيها ليلْ

سنخترع زمنًا

لا يعرفه أحد قبلنا

نتلو حكاياتنا

ونذيب ما مضى من عمرينا

في ليلة

تتجاوز حدود القلب

فتحتُ خزانة ثيابي

أخرجت كل ما فيها

اخترت منها ما أريده

وأعدت الباقي إلى مكانه

وفي حقيبة كبيرة

وضعت المانطو

الجزمة

الحذاء المطاطي

الشالات

والقفازات الصوفية

والجلدية

ومع كل قطعة

كنتُ

أُحسُّ بفرح

يقفز من بين طياتها

إنه الوعد

فهذا المساء ليس للنوم

سأداوم على السهر

مع الليل المتثائب

ونجمته التي تحاول أن تنعشه بنورها

سأداوم

على ضبط عقارب ساعتي

لكي لا تتقدم ثوانيها ولا تتأخر

وتفوتني ساعة الانطلاق

سأداوم
على حراسة حلمي
لكي لا ينزل القمر من عليائه
وتسرقه جارة فيروز
سأداوم
على مراقبة البحر
لكي لا تخذلني موجاته
وتتحول إلى إعصار
سأداوم
على صحوي
ففي أحداقي
نبتت ألف سوسنة
تمنع عنها الرقاد
سأداوم
على السهر مع الراديو
وهو يغني أروح لمين
وأضحك في سري
من غباء تلك التي سلمت
قلبها لمن لم ينصفه
وها أنا الآن بكامل أناقتي الشتوية
أنتظر
حضور الوعد
لأفجِّر الغيم ندى
والليل فجرًا
والنهار حياة

طال الانتظار

وأنا أحرس الصمت

أقبض على الموبايل

بأصابع مرتجفة واهنة

أتوسل رنينه

ولا يأتي

أهزه

أفتحه

أغلقه

ويظل الصمت سيد المكان

أوّواه!!

لا شيء

يشبه موت الأمل

في قلب ينتظر

ولا جفاف الدمع

في عين باكية

شقشق الفجر

صياح الديكة

يجلو مسمعي

وينذر بقدوم الصباح

فجأة

أصحو من غفلتي

وأدرك

أن جرثوم الكورونا

أنجز عمله

وباعد اللقاء

قبل أن يبدأ

15

حبكَ ربيع البراري

والقلبُ

قوس قزح

16

ما نفعُ السماء

إنْ

لم يرتسم وجهكَ فيها؟

قلبي

يتلمس كلماتكَ

يتهجاها

ويجمع فواصلها

قلادة حب

17

الساعة العاشرة ليلًا

الانتظار ينقلني من الشرفة إلى الشباك

أرتشف فرحي بلقائه

رشفة رشفة

أتذكر لقاءنا الأول

كيف مرّ بين دهشة وعناق

أتذكر يديه تطوقان جسدي

عيناه تقبلان وجهي

وفمه يصب في سمعي أحلى الكلمات

للحظة..

ظننت أن العامرية وابن الملوّح

عادا إلى الحياة

تجاوزت الساعة العاشرة

الانتظار ممض

وأنا فأرة

أقفز من الغرفة إلى الشرفة

أترقب زمنًا

يحمله إليّ

فرحًا.. حبًا

وشيئًا..

من الرغبة

الصمت يقهر الشارع

أضواء خافتة

وسيارات

تحمي الإسفلت من برد الليل

على منعطف الحديقة

رجل في سيارة

يبدو أنه مثلي في حالة انتظار

يراودني فضول في أن أنزل إليه
أسأله عنها
عن شكلها.. عن عمرها

عن لون عينيها.. وشعرها

هسهسة ناعمة

تسرق فضولي

تنبهني

إلى أنَّ فجرَ خِصبٍ

قد بزغ

في تلك الليلة..

هربتُ منه إليه

فإذا بي أهرب

من حجر إلى حجر

في تلك الليلة

وضعني حبه

على أبواب جنة

لا يملك مفتاحها

في تلك الليلة

راودتني رغبة

جئته طائعة

ليوقظ أنوثتي

ويشكلني امرأة من جديد

للأسف..

لم يكن يملك براعة النحات

18

من أي زاوية

أستعيدكَ

من زاوية القلق

أم من زاوية الاحتراق

وبعض وطنكَ يحترق

وأنت هناك

النيران قناديل النهار

والطيور حديد

تتسييد السماء

الموت في بطونها

وأنت هناك

زمن مزنر بالغياب

مدثر بالغموض

وقلبي

يبحث عن رجاء

عن أمل

عن فرجة ضوء

وحيث أنت

معتم

وخانق

حاشد بالخوذ

بالمدافع والبنادق

بلهاث الحناجر

وارتجاف القلوب

كيف أستعيدك؟

الزمن شاخ

وأنا

لا أنتظر منك

غير الذي لن يأتي!

19

حزن..

يسهر على شباكي

مع وعده لي

بأنه سيغفو

20

كيف أنسى

أنكَ
تركتني جثة من دموع

كيف أنسى

رحيلكَ

وقد حوّل المدينةَ

كرة من فراغ

كيف أنسى

قسوةً

شقت قلبًا

لم تهن يومًا عليه

21

نشوةٌ ثلجيةٌ

تقطع أنامل الوقت

الليل حوت

يبتلع نومها

22

لا أغمض عينيّ إلّا على صورتكَ

لا أفتح عينيّ إلّا على صورتك

لا أضم ذراعيّ إلّا لأحتضنك

لا أحرك شفتيّ إلّا لأقبلك

لا أحكي إلّا لأقول أحبك

لا أنصت إلّا لهمساتك

لا أفيق إلّا على لمساتك

لا أشم الهواء

إلّا لأنه يحمل عطركَ

ولا أحن إلى فراش

لستَ فيه

23

هل تصدق أني

أموتُ بكَ حبًا

وأنتِ..

هل تصدقين أني

أحيا بك حبًا؟

24

اقتحمَ قلبي

كإعصار

لخيبتي

لم يكن غير ظل رجل!

25

قال:

أحبيني

لأجعل القمر مصباحك

والنجوم قلائدك

شرَّعتُ له الأبواب

فكانت وعوده

أكبر من قلبه

26

آلام الماضي

تحاصرني

خيبات الحاضر

تغللني

وبقاياي..

لا تقوى على فك الحصار

وحدي في الليل

ألتف على نفسي

فلا دفء يسري
ولا الوحدة
تغيب

يؤلمني
أنَّ عمري كان سرابًا
وأمنياتي
لم تؤتِ أكلها
27

لو أنَّ حبكَ حقيقة
لما اعتقله العذّال
لو أنك تقبّلتَ وردتي
لما صارتَ
أرضكَ يبابًا
لو أننا التقينا
لما بقيتَ وحيدًا
وبقيتُ أنا وحيدة
لو كنتَ معي
لاكتملَ القمر
بدرًا
28

متعبةً حدّ الانهيار
وحيدةً حدّ التصحر
منطفئة حدّ الضياع
تمنيت قلبًا

يمسح الحمّى عن جبيني
والأرق من عينيّ
تمنيت ترنيمة تهدهد نومي
هذيت باسمه
ناديته
فلم يصلني
غير الصدى
والفراغ

29

إن جئتَ تبحث عني
فانظر في المرآة
تجدني في عينيك
إن جئت تبحث عني
ضع يدك على قلبك
إن جئت تبحث عني
أدر آلة التسجيل
واسمع..

"أنا روحي فيك..

هِيَّ تبقى الدنيا دنيا
إلّا بيك"!

30

كم تمنيت
أن نكون معًا في مكان
خارج حدود الزمان
كنت الحياة لي
ولكنك رضيت بأن تظل مراوغًا

تحرقني

وأعجز عن إطفاء نارك

عشت أيامي

على صورة وجهك

على نغمات الحروف في كتاباتك

وبقيت على أمل

أن نكون معا

لعل ندى الذكرى

31

يزهر فينا

فرحًا

ولحنًا الحياة

عمر الكون

وغيث الأرض

حبي

عاصفة

تقوّي الجذور

ولا تقلعها

حبي ريح

تُقبّل أوراق الزهر

ولا تخدش رقتها

حبي زيتونة

أوراقها لا تشيب

حبي ورد

يهب عطره

وعشب مغمور

بضياء الشمس

حبي طير شاد

لا يتوقف

عن التغريد

حبي

ينام في ذاكرتي

حلمًا

يصحو..

في أطرافي حريرًا

في قلبي انتشاء

وعصفورًا بين الضلوع

32

من أقصى المعمورة

آتي إليكِ

أُمطر قلبي بين يديك

وأُنبت في روحك فجرًا

لا يقوى عليه غروب

33

لأني أحبكِ

تومض عيناي بالنور

وأتدفق

نشوة على مدى الليل

34

من غير إرادتي

تسلل إلى أوردتي

تَدفّق في شراييني

ارتسم في عينيّ نبضًا

له شكل إنسان!

وبكل إرادتي

تسلل من نبضي

أكذوبة

لها شكل رجل

......

أخرجته من قلبي

وأعلنتُ

خاتمة القلق

35

مَنْ يَلومُ الورد

إن طأطأ خده للندى

من يلوم الندى

إن قبلت شفتاه الثرى

من يلوم الثرى

إن احتضنت حباته جسد الورى

من يلوم الوجد إن قطف الوردة

وأنبتها أغنية في بيادر الليل

36

بكى قلبي

حين رأى أرضه

عطشى

37

تحت ندى ابتسامته

أزهرت حديقتي وردًا

وقبل أن تضوع

حرتها

38

قمة الوجع

الهجر..

وأنتَ

39

في غيابكَ

يخلع..

جسدُ الليل

يومي

40

التفت قلبي إلى الوراء

عَبقٌ عِشقي

أبكاه

كم كانت أيامي

باردة

لو لم تكن فيها!

41

لم أهجركَ..

قلبي هجرني

42

كلما أحسست

أني على قاب خطوة

من بحرك

أزداد ظمئًا

43

على وعدٍ

بأن ينصفني قلبي

أعيش

44

كيف أكون وحيدة

والحزن يجالسني

يحتل مساماتي

ولا أنام

إلّا إذا نام

45

أغادركَ..

أحملكَ معي

تغادرني..

تبقى معي

طرتُ فوق البحر

فوق اليابسة

ودعتني شمس

استقبلني قمر

وأنت تأبى

إلّا أن تكون معي

وجوه.. وجوه

بيض

صفر

سود

وأنت لست فيهم

لكنك..

كنت هناك

ماء السماء

يطرق

نوافذ الطائرة

طق.. طق

الخارج مخيف

وأنت لست هنا

لكنك معي

46

لا أخاف الموت

وإنما سأحزن..

من حزنكَ عليّ

47

ظننته شجرة

غصني

كان أكبر

48

أهربُ من الكآبة

فأسقط في الاكتئاب

أسعى إلى طلاوة الحياة

فأحظى بالجفاف

أنظر إلى العالم

فأراه ظلالًا شوهاء

أنادي على الأحباب

فيرجع الصدى هباء

......

أبحث عن وطن

فتضيع خطاي في حقول الغربة

حياة..

زرعتني على حافة القلق

على تخوم الجمر

فإما السقوط

أو الاحتراق

أتوقف..

أتساءل

ماذا فعلتُ

فتأتيني

سحابة تحجب ظلي

وتصيّرِ كلَّ ما فعلته

قبض ريح

49

ما أسهل الموت

أمام

غياب الحب

50

ذات رسالة

افترقنا

عدتُ إلى حنيني

وعادَ إلى قهوته

مع كثير من اللايكات

51

بنور عينيكَ

أستضيء

وبحزني

أحيا

52

أوقف تهطالك

حديقتي

صارت بستانًا

53

لا يعرف

وهو في منفاه البعيد

أنـي..

أضع رأسي

في حجره

كل مساء

54

يكفي أن تكون في قلبي

لتزول منه الوحشة

55

لم أحدثه

لم يحدثني

الحب

نشر شراعه

فأبحرنا

56

أيتها المرأة- الأنثى

أحلم بأن أنطلق معك

في كون يخصك

يخصني

وأحلم

بأن أستكن تحت عرائش همساتك

وأكون معك

ثالوث دفـء وحياة

هكذا قال

57

لن أهجركَ

حتى تهجر الشمس الكون

يهجر البحر الشط

تتخلى النوارس عن الأسماك

لن أهجرك

حتى تغمض النجومُ السماء

والقمرُ

يتوقف عن الظهور

لن أفقدك

مع أني لست معك

ولست معي

أفكر بك

وتفكر بي

ما أمضّ السهاد

وما أحلى الوعد

مع طيفك

58

منبه الساعة

وأنت..

صنوان مزعجان

رناته تقرع رأسي

وهاتفك

يقطع عليّ لذيذ المنام

لا تأتي...

وتريدني مثل جندي

على أهبة الاستعداد

كرهت الصباح مع صوت

ينبهني

إلى هموم دفنتها بالنوم

قد لا تعرف

أن المنبه أرحم منك

رنينه يشدني من السرير

وهاتفك يشدني إليه

أفتح الشباك

وجهي

يطلُّ

على شمس وهواء

عصافير

تعلو وتحط

تداعب مناقيرها

فتات خبز نثرها عابر طريق

وشجرة الجهنمية الحمراء

في المبنى المقابل

تصفق أوراقها

وتضحك

وتقول لي

غدًا..

يوم آخر

59

نسيمٌ عَبَرْ

ترك على خدي

قبلةَ حبيب

60

أتوكأ على عصا تفاؤلي

وأَهشُّ بها

على قطعان الوجع

61

ذات عبور

إلى مدينة الظباء

كانت هناك

اغتصبتْ انتباهه

ومسته منها شرارة بروميثيوس

لم يكن

يفصله عنها غير مقعد

وصديقة

تمنى

أن يقفز إلى المقعد الخالي

لولا.. العيون

حاول

أن يسحق رمل الوقت

وبعض الخجل

خذلته..

كومة الزحام

والرتابة

الصاخبة في المكان

انتهى الملتقى

غادر إلى وطنه

في يده

صورة

وفي قلبه شغف

لامرأة

غاب عنه اسمها

62

موجع..

أن نجد..

الجرح صار جافًا

في الذاكرة

إن نحن حاولنا

استرجاع بعض التفاصيل

عن حب مضى

63

لا أستطيع..

أن أتركك تحرقني

ولا أستطيع..

أن أقاوم وجودك معي

فأنت.. لي حياة

كتب لها:

ما أظنكِ سترمينني من شرفة

ذاكرتك

لم تفعليها من قبل

تدثرتُ بحنانك ورعايتك

ربع قرن

مشكلتي هذه الأطياف التي تصيبني

بالدوار.. بالقهر

أَمدُّ يدي..

فألمس الفراغ

كل لقاء كان بيننا ماثل في مخيلتي

كيف أحتمل لسع هذه المخيلة!

ما طمحتُ أن أتوارى

بين جناحي امرأة

كما طمحتُ بجناحيك

بقادمهما وخوافيهما

تتمثلين لي

فتهدأ شظى روحي

لا شيء يغنيني عن الدنيا

سوى أن أسمع صوتك

وأنْ

يتشبث خوفي بذراعيك

وقلقي بسكونك

وغربتي..

ببعض استقرارك

كلامٌ..

بدأ يسترسل..

ويمتد

ويشقق تربة القلب

لتظهر سوقه وأوراقه

......

فكتبتْ له:

كم أتمنى أن أبحر في عالمكَ

وأغنم ..

ما فيه من لآلىء!

65

قطفتُ زهرة

كان وجههُ

على بتلاتها

66

ماء الفجر

ندّى شجيرة الورد

غيرة الشمس

اعتقلته

67

لو كان لي

أن أقترف الأحلام

لاحتفظتُ بكَ

ثمرة

على فرعي

68

لو كان لي

أن أقترف الأحلام

لزنرت قلبي بسياج

كي لا تفر

69

لو كان لي

أن أقترف الأحلام

لحملتك معي

"إلى بيت

أبعد بيت

وَضَيِّع طريقك

ما تعود تفلّ

وتضل حدّي

تضلّ"..

رسائل عاشق

1

أيتها الأحبّ

عذرًا ومن غيرك يعذر
عجيب أمرنا نحن عشاق السياسة لا ندري ماذا نفعل غدًا، إذ كان القرار أن أتفيأ ظلالك في اليوم المتفق عليه. ظروف اضطرتني إلى تمديد فترة غيابي، وأنا العاشق الذي لا يحفظ مواعيده اطمئنانًا منه بوفاء الحبيبة.
مشتاق جدًا. الأيام الخاطفة وابتساماتك الحيية لم ترو الظمأ الساكن في عروقي، ولم تعد الهواء إلى أطيان قلبي المتيبسة.

2

محاولاتي للاتصال بك من بروكسل وقبرص ضاعت عبثًا، فكم من عمرنا لفّه العبث. أحس بالإحباط وباليأس، وبالحاجة إليكِ.
لقد أورث جلجامش قلقه وعناده إلى سندباد، ترى لمن أورثت عشتار حنوّها وحبها وصبرها؟

3

عدت اليوم من بابل..
ليس غريبًا أن يكتشف سندباد وهو يبحث عن مدينته المقهورة، أن شجرة نسبه تمتد إلى أنكيدو وحافظ الشيرازي وعمر الخيام. وليس غريبًا أن يتذكر حبيبته حينما يلفّه التيه وتذوي الحدود فيما بين مسلماته.
ولكن أليس غريبًا ومدهشًا أن يهرم السندباد وتبقى عشتاره في أعماق وعيه نضرة فتية، تغسل شعرها كل صباح في ندى عواطفه؟!
مشتاق إلى أمسية أموية.

بحر

1

أوقفني البحر.. وقال:

تتحدثين عن الشوق

وتغيبين نصف قرن؟

لم يكن يا بحرُ

غيابًا

ولا هجرًا

بل مواتًا

مدّ البحر كفه البيضاء

راية صلح

2

قلبي بحر

يصاحب الريح

تطوقه نوارس

تقطف ضياء الشمس

وأسماك الماء

3

موجة

تعتلي ظهر أختها

تستعجل الوصول

حذاؤها مفضض

شالها أزرق

طيشها..

نَثَرَها

زبدًا فوق الرمال

4

صباح باذخ

البحر

يصافح وجهي

والزبد..

يشطف عتبات الرمال

5

البحر..

يسير الهوينا

غير مبال بما يمر فوقه

ولا بما تحته

وأنا

أرغب

بسماء لا رعب فيها

6

البحر

يعلو.. يهبط

أمواجه تصطخب

زبدًا

السماء تراقبها

وتفتت ابتسامتها

على سطح الماء

حبات ماس

7

موجة..

تمنح تاجها الفضي للرمال

وفي البحر

تعزف

مزاميرها الزرق

8

تلطم الأمواج

خدود الصخور

حزنًا

على موت الرمال

تحت أقدامها

9

الشمس تُقبّل البحر

وأنا على الشط

أنتظر شمسي

10

وجودكَ معي

بحر

بلا ضفاف

11

يا بحر

كم من المعجزات فيك!

أمواجك معجزة

صخورك معجزة

رمالك معجزة

وصمودي

أمام بهائك

معجزة

12

كل ما تبقى

زورق في بحر

وكمشة غرقى

زورق

تتجاذبه الريح

فإما اليابسة

أو الغرق

فلا الزورق نجا

ولا مَنْ فيه وصل

13

نورس

موجة

صخرة

تبتسم

14

نورس

وموجة زرقاء

ينهض البحر

15

وضعتْ نفسها

في بحره

سمكة

فابتلعها!

16

لأني أحبكَ

ترتسم خطواتي

أصدافا ملونة

على رمل الشط

17

نوافذ بيتي مغلقة

الغربة بحر

والبحر عميق الغور

وأنا أتلوى في إعصار

ضاقت بخطاي الأرض

غللها

الوجع الخوف الغضب

سكنتها رغبة لا تحتجب

يا أنتَ ..

ولست معي!

البحر عيون

تبحث

عن حُبٍّ ضلَّ طريقه

تعبتْ أشرعةُ البَحَّار

والصاري تَكَسَّر

وأنا على الشط وحيدة

أترقب فجرًا خلف سواد

أرسم للريح زورق

ما عاد الزورق

حتى شراع الشوق تمزق

آه! ما أطولَ دربك

ما أبعدَ

ما أنتَ هناك!

18

البحر هدير

والشوق هدير

وأنا والبحر شريكان

نقتسم الشجن والأحزان

19

وقفت على عتباتك

وسألت الموج:

ما فائدة الزبَدْ؟

فقال:

لتعرفوا..

أنه يذهب جُفاء

20

أغيب..

أمي تناديني، وأبي يحثني على الحضور. أعود.. إلى مدينة عرفتني طفلة وكبيرة. أجالس البحر شطًا وصخرًا رملًا وماء، يداي تداعب حصاه وقدماي ترتاحان في مائه. نورس وحيد ينفرد بهذا الامتداد، يفتش عن سمكة تُسكت جوعه. على صخرة ناتئة في البحر، يقف. يحاول أن يقنص سمكة من وعاء الصياد، فيهشّ عليه ويطير إلى السماء مخذولًا.

تسرقني ذاكرتي إلى زمن طفلي، فأتوه في دهاليزه وأتساءل من أين أبدأ؟ صور تملأ مساحة عينيّ، ووجوه بلا عدد تداعب ذاكرتي. رفيقات من الزمن الأول، ومشاوير بين شطوط الماء وحقول اليابسة.

عدت إليه.. فلم أجده كما عرفته. تَغَرَّبَ عن الأزرق، وصار أحمر. شِباكهم تجرف خيراته، وسفنهم تغتال براءته. غابت عنه النوارس، والمائيات الصغيرة اختبأت في مسامات الصخور.

أيها التليد المتجدد، ما زلت تميس في بهاء باذخ. وبدقة بندولن ما زلت تهدر وتمور بدقة بندول، ترغي وتزبد، تصطخب وتهدأ، ترتفع وتنخفض بألوان متبدلة ومتداخلة برسم رباني. دفاق في الشتاء، حزين في الخريف، بَسّام في الربيع، وفي الصيف مسالم ورخيً. وفي كل هذا.. لا تتوقف مياهك عن مشاكسة الصخور والحصى، وعن منح الرمال تاجها السكري. في فتوتي كنت أهرب من تعبي إليك، لأروّح عن نفسي برؤيتك وأنت تكركر بالضحك مع مراكب الصيادين وتدافع الأسماك عن شباكهم، ومع غنج الأمواج على صوت البحارة ب هيلا هوب.. هيلا هوب. وأنا اليوم لم أختلف كثيرًا عن الأمس، فما زلت أمامك تلك الفتية التي كنتها منذ عشرات السنين، أستلهم الجمال من امتدادك والصبر من صمودك. يؤنسني هسيس محارك، ويرقص قلبي مع نسائمك. تطير روحي مع رذاذك، وعيناي تغضي من أناقة الكشاكش البيضاء التي تحف ثوبك الأزرق.
تؤلمني مراوغتك يا بحرنا البديع، فأنت تمنح الخيرات بيد وبأخرى تصطاد كل ما يمكنك الفوز به من مراكب وسفن وبشر وأرزاق.

أبحر في صحرائك المائية المئات من البشر، الواحد فيهم يساند الآخر. صدر الأم يحتضن الصغير، وذراعا الأب يطوقان الكبير، وآخر يخفف بيده الحانية من خوف صديق. لِمَ لَمْ تمنحهم فرصة الوصول إلى بر يجدون فيه الأمان، ولِمَ آثرتَ الاحتفاظ بهم مائدة دسمة للحيتان.؟

دعني أسألك: هل كنت ستحتفظ بكل هذا البهاء، لو غاب عنك الصيادون والسفن والمراكب؟ هل كنت سترضى بعزلتك، لو توقف الناس عن مصاحبتك وعن سعيهم إليك؟ ما تراك كنت فاعلًا لو هاجرتْ من مياهك الأسماك والحيتان والحصى والأعشاب، وحجبت الشمسُ لونكَ السماوي؟

جميل أن أرقبك عن بعد، والأجمل أن تعيش معي لحظاتي وأنا مبحرة فيك. لقد كبر عمري على شطك المعطر بمائك والمكحل بأصدافك، ولأنك حقيقي.. لا أخشى إن أعربتُ لك عن حبي، وأخبرتك عما في قلبي.

يا بحري الصديق ..

الوحدة مرار يقضم أيامي، ويطوي صفحات عمري الواحدة بعد الأخرى. أحبتي ابتعدوا وكوَّنوا لأنفسهم عالمًا لا يشبهني، وأنا أحلم بصديق أسكن إليه.!

نوافذ

1

يدٌّ غَضّةٌ
اتكأتْ على حافتي
أغمضتْ عينيّ
وسرحتُ
مع حلمها البعيد

2

أفركُ مقلتيّ

مذعورة

من شمس

سبقتني إلى الحياة

3

أعيش الألم

أطفال حفاة

يسابقون الريح

إلى سيارة

توقفت عند الإشارة

4

طائران

يحطان على الإفريز

يتناجيان

يتوددُ

تناوره

يزقها لقمة

تزقه قبلة

5

نهار خريف

يرمقني بحيادية

فلا شمس

تضيء

ولا غيمة تهطل

6

مأساتي

أنَّي نافذة

في بيت

لا يفتح نوافذه

7

كَأَنْ لا عمل لي

غير..

أن أكون نافذة

8

وحشة المساء

ذئب يعوي

والليل طويل

9

بقية من ماء السماء

تغفو على وجهي

الشمس الباهتة

لم تقو

على ارتشافها

10

نهار

شمسه تعوي

وامرأة

تجر ذيل فقرها

وثلاثة أطفال

11

رأيتُهُ

يطوق خصرها

تناثرت همساته

على وجهها

جلنار

12

سماء ملبدة

غيمات تنذر بالمطر

وقلبي ملهوف

على قدمين عاريتين

تحتميان

بجدار بارد

13

ريح

تُناثر الغبار

والنفايات

وأنا..

أشحذ ذهني

عن وسيلة تنقلني

إلى جوار

تلك النافذة الخضراء

14

فَتحَ درفتيَّ

حدّق إلى البعيد

وبحسرة

راح يردد:

قلبُ

حبيبتي

بلا نوافذ

15

تفتح الشمس عينها

وتقول للنهار

ابتسم

16

شجرة ليلك

وضوء

في السماء

17

ريح

كنستِ الأوراقَ

الأشجارُ

بكتْ

18

توكأ الربيع

على شجرة

هجرها الشتاء

19

خريف

تخاتله

شمس باردة

دموعه

أوراق على الرصيف

20

بركة ماء

وقدما طفل

21

غيوم في السماء

مظلة مطر

وعصفور

22

أمطارٌ

براعمٌ

فوق الشجر

23

كورونا

كمامة

عالم متغير

24

ضحكتُها

حياة

زهرةُ الشمس

25

حريرٌ

جيد صبية

26

أيكة ورد

وداع

حبيب

27

بتلاثُ وردة

نملةٌ

حملتها

غذاءً

لأطفالها

28

كفنٌ

سماءُ وطني

طائرات الموت

قبرها

29

خريف

وأشجار

تتعرى

30

غيمة

بكت

في وداع الربيع

31

أيها المطر

حين ترتوي الأرض بك

أتشمم

رائحة الربيع

32

شجرة

تناظرني

خريفها

غطاني

33

ما أشبه

سيدة بيتي

بالمهرج

قلبٌ حزين

ووجهٌ يبتسم

34

يمام

زار شرفتي

ليته

لم يكن طيرًا

35

أطرب..

وأنا أراها تلبس الشمس

وتشلحها

تحلق وتحط

تتقارب وتتباعد

تتعانق وتتفارق

تتناجى وتصمت

تصطاد الهواء والحرية

ورياشها

تطرز حواف الغمام

أطرب..

حين تنشد تراتيلها للسماء

حين تفرد أجنحتها في رقصة فالس

حين تخطف ظلال المساء

في رقصة تانغو

وأحزن..

حين يهدد شملها هدير

يحمل الفزع والدمار

أحسدك أيتها الأطيار

الأرض مرتعك

والسماء ملعبك

فلا حواجز

ولا حدود

أجنحتك هويتك

وأعشاشك انتماء

عصفور دوري

على إفريز نافذتي

يودع شمس الأصيل

بزقزقة

كأنها سقسقة ماء

وأنا أحلم بلقاء

يحرر يدي

من يدكَ





